

مطراية قوص ونقادة
للأقباط الأرثوذكس

مالك نائماً؟ قم اصرخ إلى إلهك

مراجعة نيافة الحبر الجليل
الأنبا بيمن
أسقف نقادة وقوص

بقلم
الراهب متىاس الصموئيلي

**مطرانية قوص ونقادة للأقباط الأرثوذكس
كاتدرائية أول الشهداء بقوص**

مالك نائماً؟

قم أصرخ إلى إلهك

مراجعة

نيافة الأنبا بيمن

أسقف نقادة وقوص

بقلم الراهب

متياس الصموئيلي

اسم الكتاب: مالك نائمًا؟ قم أصرخ إلى
إلهك.

المؤلف: الراهب متياس الصموئيلي

تصميم الغلاف: م جورج جبرة

التصميم الداخلي: رأفت فهميم عطيتو

المطبعة: أمدحت حنا

الطبعة: الأولى ٢٠٠٨

رقم الإيداع: ٢٣٩٤٠ / ٢٠٠٨

النشر الإلكتروني: نوفمبر ٢٠٢١



صاحب القداسة والغبطة البابا المعظم

الأنبا تاووضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريق الكرازة المرقسية



نيافة الحبر الجليل

الأنبا ساويرس

أسقف ورئيس دير السيدة العذراء المحرق
العامر



نيافة الحبر الجليل

الأنبا باسيليوس

أسقف ورئيس دير الأنبا صموئيل المعترف
العامر



نيافة الحبر الجليل

الأنبا بيمن

أسقف قوص ونقادة وكل توابعهما
ورئيس دير رئيس الملائكة ميخائيل العامر
ببرية الأساس



مثلت الرحمات نياقة الحبر الجليل

الأنبا كاراس

أسقف عام المحلة الكبرى وكل توابعها

... يوجد دير أثري جوار قريتنا باسم السيدة العذراء، يُقام فيه احتفال سنوي لمدة سبعة أيام، فكنا نذهب ونحن صبية صغار نفرح ونمرح كثيرًا، وكان يصيبنا الإعياء والإرهاق الشديد والتعب من كثرة اللهو والجري واللعب، فكنا ننام بعض الوقت في النهار، فكان يأتي أخي ويصرخ فينا قوموا إنها أيام قليلة، سبعة أيام فقط في السنة نمرح فيها ونفرح، لا يصح أبدًا النوم الآن...

وإني أتساءل بمنطق أخي، هل من تنتظره حياة أبدية بشرط السهر فقط يحق له أن ينام الآن؟ وآه من الذي ينام ملتزمًا جدًا، أي ثمان ساعات فقط في اليوم، فإنه يموت ثلث عمره وينفصل عن الحياة تمامًا!!

لا تخف إنها حقيقة ومقدمة الكتاب!

الرب يبارك هذا العمل لمجد اسمه القدوس، بشفاعة سيدتنا كلنا والدة الإله القديسة الطاهرة مريم

وصلوات صاحب الغبطة والقداسة،

البابا شنودة الثالث

وشركائه في الخدمة الرسولية

أبيننا الأسقف المكرم

نيافة الأنبا ساويرس

أسقف ورئيس دير المحرق العامر

أبيننا الأسقف المكرم

نيافة الأنبا باسيليوس

أسقف ورئيس دير الأنبا صموئيل المعترف

أبيننا الأسقف المكرم

نيافة الأنبا بيمن

أسقف قوص ونقادة

قراءة في سفر يونان ١ : ١ - ١٧

وَصَارَ قَوْلُ الرَّبِّ إِلَى يُونَانَ بْنِ أَمْتَايَ قَائِلًا: ” قُمْ اذْهَبْ إِلَى نِينَوَى الْمَدِينَةِ الْعَظِيمَةِ وَنَادِ عَلَيْهَا، لِأَنَّهُ قَدْ صَعِدَ شَرُّهُمْ أَمَامِي . فَقَامَ يُونَانُ لِيَهْرُبَ إِلَى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ، فَنَزَلَ إِلَى يَافَا وَوَجَدَ سَفِينَةً ذَاهِبَةً إِلَى تَرْشِيشَ، فَدَفَعَ أَجْرَهَا وَنَزَلَ فِيهَا، لِيَذْهَبَ مَعَهُمْ إِلَى تَرْشِيشَ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ . فَأَرْسَلَ الرَّبُّ رِيحًا شَدِيدَةً إِلَى الْبَحْرِ، فَحَدَثَ نَوْءٌ عَظِيمٌ فِي الْبَحْرِ حَتَّى كَادَتِ السَّفِينَةُ تَنْكَسِرُ . فَخَافَ الْمَلَّاحُونَ وَصَرَخُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى إِلَهِهِ، وَطَرَحُوا الْأَمْتَعَةَ الَّتِي فِي السَّفِينَةِ إِلَى الْبَحْرِ لِيُخَفِّفُوا عَنْهُمْ . وَأَمَّا يُونَانُ فَكَانَ قَدْ نَزَلَ إِلَى جَوْفِ السَّفِينَةِ وَاضْطَجَعَ وَنَامَ نَوْمًا ثَقِيلًا . 6فَجَاءَ إِلَيْهِ رَئِيسُ التُّوتِيَّةِ وَقَالَ لَهُ: ” مَا لَكَ نَائِمًا؟ قُمْ اصْرُخْ إِلَى إِلَهِكَ عَسَى أَنْ يَفْتَكِرَ الْإِلَهُ فِينَا فَلَا تَهْلِكَ . “ وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: ” هَلُمَّ نُلْقِ قُرْعًا لِنَعْرِفَ بِسَبَبِ مَنْ هَذِهِ الْبَلِيَّةُ “ . فَأَلْقَوْا قُرْعًا، فَوَقَعَتِ الْقُرْعَةُ عَلَى يُونَانَ . فَقَالُوا لَهُ: ” أَخْبَرْنَا بِسَبَبِ مَنْ هَذِهِ الْمُصِيبَةُ عَلَيْنَا؟ مَا هُوَ عَمَلُكَ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ؟ مَا هِيَ أَرْضُكَ؟ وَمِنْ أَيِّ شَعْبٍ أَنْتَ؟ “ فَقَالَ لَهُمْ: ” أَنَا عِبْرَانِيٌّ، وَأَنَا

خَائِفٌ مِنَ الرَّبِّ إِلَهِ السَّمَاءِ الَّذِي صَنَعَ الْبَحْرَ
وَالْبَرَّ. فَخَافَ الرِّجَالُ خَوْفًا عَظِيمًا، وَقَالُوا لَهُ: ” لِمَذَا
فَعَلْتَ هَذَا؟ “ فَإِنَّ الرِّجَالَ عَرَفُوا أَنَّهُ هَارِبٌ مِنْ وَجْهِ
الرَّبِّ، لِأَنَّهُ أَخْبَرَهُمْ. فَقَالُوا لَهُ: ” مَاذَا نَصْنَعُ بِكَ لَيْسَكُنَّ
الْبَحْرُ عَنَّا؟ “ لِأَنَّ الْبَحْرَ كَانَ يَزْدَادُ اضْطِرَابًا. فَقَالَ
لَهُمْ: ” خُذُونِي وَاطْرَحُونِي فِي الْبَحْرِ فَيَسْكُنَ الْبَحْرُ عَنْكُمْ،
لَأَنِّي عَالِمٌ أَنَّهُ بِسَبَبِي هَذَا النَّوْءُ الْعَظِيمُ عَلَيْكُمْ. “ وَلَكِنَّ
الرِّجَالَ جَذَفُوا لِيُرْجِعُوا السَّفِينَةَ إِلَى الْبَرِّ فَلَمْ يَسْتَطِيعُوا،
لِأَنَّ الْبَحْرَ كَانَ يَزْدَادُ اضْطِرَابًا عَلَيْهِمْ. فَصَرَخُوا إِلَى الرَّبِّ
وَقَالُوا: «آه يَا رَبُّ، لَا تَهْلِكْ مِنْ أَجْلِ نَفْسِ هَذَا الرَّجُلِ،
وَلَا تَجْعَلَ عَلَيْنَا دَمًا بَرِيئًا، لَأَنَّكَ يَا رَبُّ فَعَلْتَ كَمَا
شِئْتَ. “ ثُمَّ أَخَذُوا يُونَانَ وَطَرَحُوهُ فِي الْبَحْرِ، فَوَقَفَ
الْبَحْرُ عَنْ هَيْجَانِهِ. فَخَافَ الرِّجَالُ مِنَ الرَّبِّ خَوْفًا
عَظِيمًا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَةً لِلرَّبِّ وَنَذَرُوا نُدُورًا. وَأَمَّا الرَّبُّ
فَأَعَدَّ حُوتًا عَظِيمًا لَيَبْتَلَعَ يُونَانَ. فَكَانَ يُونَانُ فِي جَوْفِ
الْحُوتِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَثَلَاثَ لَيَالٍ .

خافوا ...

من هو الانسان الخائف الرب

خافوا...

فأرسل الرب ريحًا شديدة... فخاف الملاحون ... لقد تبنى الملاحون الأمميون خطة عظيمة، خطة روحية مقدسة في تجربتهم، وهذا أدى إلى خلاصهم، فمن الأشياء التي تستحق الاهتمام والوقوف أمامها كثيرًا؛ لتتعلم نحن أيضًا كيف ننجو من أخطار التجارب والضيقات، إنهم في ترتيب أحداث خطة النجاة، قد جعلوا الله هو الأول في اهتمامهم، حيث وضعوه في أول بل ووحده في قائمة من يطلبون ويلتجئون إليه، واستبعدوا تمامًا كل تفكير أرضي ومعونة بشرية تعطل ذلك، فكان لابد لهم من النجاة!

فحينما كادت السفينة تنكسر خافوا،

لقد خاف الملاحون خوفًا مقدسًا، لذا ترتب عليه جميع أحداث خطة النجاة الناجحة، وإنني حكمتُ سريعًا أنه خوف مقدس ليس عن غير دراسة أو دون تدقيق؛ لكن ترتيب الأحداث حتى النهاية أكد كل

ذلك، وسنرى أنه الخوف المقدس وقد ترجم عملياً في خطة النجاة العجيبة حقاً.

عكس ذلك تمامًا ما حدث مع فرعون، فلقد كانت يد الله واضحة في جميع ضربات فرعون، وكان يعرف ذلك جيداً، ولم يخف أبداً وإن تأثر فكان ذلك إلى حين، وها قد جنى ثمار عدم خوفه وقساوة قلبه، فغرق ومات وجنوده.

أما هؤلاء الملاحون فلقد ترجموا خوفهم هذا إلى صراع وصراخ وصلاة، كل واحد إلى إلهه، حتى حينما سكنت الأمواج وقد هدأ كل شيء حولهم شكروا، وذبحوا ذبائح وندروا ندوراً...

لكن هناك أيضاً أنواع من الخوف:

(١) خوف مريض:

.. وسأله أهل المكان عن امرأته فقال هي أختي

لأنه خاف (تك ٢٦ : ٧)

سيدي إسحق ابن الموعد وإبراهيم القديس، وثمان
 الثلاثة البطارقة الأولين، وأب كل نسل شعب الله، إنني
 في غاية الحرج وأنا أراك خائفًا ومختبئًا وراء رفقة امرأتك،
 بينما أرى من الناحية الأخرى الله يقسم بذاته بأنه يكون
 معك حيثما ذهبتَ وسكنتَ، فأين أنتَ يا سيدي
 الخائف رغم هذا الوعد المقدس وصوت الله؟ وكيف تخف
 بينما الله قد تعهد بأن يحرسك ويحميك أينما كنتَ
 ويحفظك؟ وكيف أيضًا تخف من الناس ولم تخش الله وقد
 كذبتَ عليه، وها ابنتك سوسنة العفيفة تصرخ، وتدوي
 صرختها لتمتد إلى كل الدهور ”خير لي أن لا أفعل ثم
 أقع في أيديكما من أن أخطئ أمام الرب“ (تتمة دانيال
 ١٣: ٢٣) وها قد قدمت نفسها للموت بريئة، فكيف
 تريد أنتَ النجاة لنفسك، ولا يهتمك أبدًا أن يغضب
 الله؟!

لذا لم أجد لي مبررًا واحدًا يجعلني أكف عن
 ملاحقتك والحديث معك، فلقد أعلمك الله في وضوح
 النهار بأنه لا يفارقك قط، بل ويكون مع نسلك إلى

الأبد، فكيف لا تثق أنت بهذا العهد المقدس وميثاق الله؟! وهلع قلبك وخشيت على نفسك دون داع أو شيء يذكر. ألم يعطيك ماضيك مع الله للحاضر طمأنينة وللمستقبل ضمان؟ ولمن جاء قول الكتاب ”إذا أرضت الرب طرق إنسان جعل أعداءه أيضًا يسالمونه“؟ (أم ١٦: ٧)

مع الأسف الشديد والاعتذار الكثير يا أبي إسحق، إنني أرى أن ملك جرار كان نبيلًا جدًّا؛ لأنه حينما عرف أنها امرأتك وليس هي أختك كان شجاعًا، حيث أنه أعلن هذا النبأ لشعبه؛ كي يحميك لئلا يقع بك أحد ليؤذيك أو يمس امرأتك بسوء. وقد قال ”الذي يمس هذا الرجل أو امرأته موتًا يموت“ (تك ٢٦: ١١)

ليتك قد سمعت صوت الله وهو يتكلم مع أبيك إبراهيم ويعطيه وعد ميلادك وبشرى بولادتك، لكنك قد علمت أنه ليس أنت أبدًا يا أبي اسحق الذي يتسلل إليه الخوف، أو يتسرب إلى قلبه الرعب والقلق، لأنك من خلفية مقدسة وشجرة مباركة وغصن مثمر، حيث أنكم

ثالث بداية روحية في الحياة كلها مع الله، أي بعد آدم ونوح، هذا هو أنت وتاريخ بيت أبيك، نعم أنه ضعف بشري لكن لا مبرر له على الإطلاق، وإن كان قد كتب ليؤكد صدق كلمة الله وكتابه المقدس، وأيضا لنأخذ نحن درسًا وعبرة وفائدة وحزرًا.

والمثال الثاني للخوف المريض...

” ولما سمع شاول وجميع إسرائيل كلام

الفلسطيني هذا ارتاعوا وخافوا جدًا“ (اصم ١٧ : ١١)

لقد تعجبتُ جدًا لذلك، حيث أنهم صدقوا كلام الفلسطيني وكذبوا أعمال الله سنين هذا عددها!! ولكني أقول لكم: كيف تسرب الخوف وكل هذا الرعب إلى قلوبكم ومن أي جهة؟ وما الدافع أيضًا لهذا الخوف؟ وكيف سمعت أذانكم هذه الكلمة ومتى؟ بينما الله يسكن بينكم، وصوت التسبيح لا ينقطع أبدًا طوال حياتكم في الجبال المقدسة والإقامة في القفر.

إنه خوف غير منطقي بالمرة، ولا مبرر له أبدًا ولا حجة قط، أنظروا إلى الوراء، إلى الوراء كثيرًا منذ البداية وتاريخكم المقدس كله.

أنظروا إلى فرعون الذي أراد قتلكم، فأماته الرب وجنوده وكل مركباته.

أنظروا إلى البحر الأحمر وكيف انشق إلى نصفين، كي تعبروا أنتم، مخالفين بذلك كل قوانين المياه وما تعرفه الناس عن طبيعة هذه المادة، وعبرتم فعلاً وكانت المياه سور لكم عن اليمين واليسار.

اسمعوا لقولي هذه المرة يا شعب الله، مَنْ الذي أطعمكم المن في البرية، والسلوى في القفر، وخبز السماء في جبال التيه سنين هذا عددها؟

...”إنما أحذر واحفظ نفسك جدًا لئلا تنسى

الأمور التي أبصرت عيناك“ (ث ٤ : ٩)

لمن هذا النداء والتنبية والتحذير يا إسرائيل؟ إنها وصية مكتوبة، وشريعة مدونة خصيصًا للتذكرة والعمل بها، فأين أنتم من التثنية وسفر الشريعة؟!

تكلم يا شعبي وقل متى تركتكم حتى تنسوا أو
تتناسوا كل هذا العمر. وكيف نسيتم أنتم أعمال الله
لأربعين سنة كاملة في أربعين يوم فقط لا غير؟!

ليتكم قد خفتكم وخشيتكم جدًا، لكن على اسم
إلهكم الذي كان يعيره هذا الفلسطيني الأغلف، بصدق
ما كنتم وجدتم أي وقت أبدًا كي تصرفونه في هذا الخوف
المريض، إن اهتمامكم بحياتكم الأرضية والنظر تحت
الأقدام قتل عندكم كل غيرة مقدسة، وأعطى صورة سيئة
وضعيفة عن شعب قوي، شعب قدوس إسرائيل.

لكن هذه نتيجة طبيعية للتفكير الخاطئ والنظر
إلى الفلسطيني المدمج بالسلاح، لأن هذا قد حجب
عنكم تاريخكم المقدس كله ورؤية الله الساكن في وسطكم.
وهذا يذكرني أيضًا بأن كل من يطيل النظر إلى الشجرة
المحرمة (جليات) ينسى الوصية وكلام الله وقوة التقدير
فيخاف.

لكن اسمعوا لي وأطيلوا النظر إلى داود الفتى
الصغير، فلقد سألناه: من أين لك هذه القوة والثقة

والإيمان؟ وكيف جئت بكل هذا في عمرك القصير
وحياتك القليلة جداً؟ فلقد رأينا الله يسكن في قلب داود
واحد بينما قلوب جبابرة إسرائيل كلها قد ذابت
كالشمع، وها قد روعها شخص فقط، جليات.

قل لي يا سيدي داود الصغير، لأنني اعلم تمامًا أنه لم يغب
عن نصب عينيك كل أعمال الله معك وتاريخه المقدس،
وكنت دائماً تترنم بذلك منذ قتل الأسد والدب ^(١) لأن
تذكر التاريخ المقدس والتغني بأعماله والآن الله كثيراً
يعطي قوة جديدة ومعونة متجددة لهزيمة كل جليات
تقابله، أليس الله هو هو أمس واليوم وإلى الأبد؟!!

لا تخف من الذي يقتل الجسد، فالله يدافع عنكم، لا
تخف الأباطرة والملوك والولاة؛ لأنه يعطيكم فماً وحكمة.
لا تخف الضيق والألم والاضطهاد؛ لأن كل ذلك يؤول
إلى خير وإلى مجد، افرحوا إذا عيروكم وتهللوا لذلك كثيراً

(١) الرب الذي أنقذني من يد الأسد ومن يد الدب هو ينقذني من يد

هذا الفلسطيني، هذه ترنيمة قوة وانتصار

لأن في حفرة الرجم رأى استفانوس المسيح في مجده،
والسمااء مفتوحة أيضًا.

... وفي جزيرة بطمس وسط القيود والوحدة
والبعد والأغلال، رأى يوحنا السمااء مفتوحة وكل المجد،
رأى المسيح المنتصر وأولاده الغالبين، فاستأذن الأغلال
وكتب لنا كل ما رآه، ونحن لسنا أبدًا في حاجة إلى سرد
أكثر، فنحن نعيش خفة الآلام ونحيا أيضًا ثقل المجد في
نفس الآن والحين، وإن وجودنا للآن شاهد عيان على
كل ذلك كل يوم!

(٢) خوف نتيجة الخطية... نعم كل قتلها

أقوياء والجرحى كثيرون، لقد كان أبونا آدم سيدًا على
جميع المخلوقات حينما كان تحت طاعة الوصية ومحبة
الله. لكن عندما سقط في الخطية تغير الحال وتبدل كل
شيء من حوله، وصار عبدًا ذليلًا أسيرًا لا يعرف كيف
يستر عريه وجسد امرأته، وخاف واختبأ وارتبك، هكذا
قايين أيضًا، بعدما قتل هابيل أخيه هرب على وجهه
وتاه في الأرض، وقال كل من وجدني يقتلني، في حين لم

يكن في الحياة سواه وأبوه وحواء أمه، نعم الشرير يهرب ولا مطارِد.

(٣) الخوف المقدس... فإذ نحن عالمون مخافة الله

نقنع الناس، هذا هو الخوف الروحي الذي يوصي به ويتكلم عنه القديس بولس الرسول، أي كل ما يخص خلاص النفس، وكل ما هو للحياة الأبدية واحترام الوصية وكلام الله، وهذا الخوف مُذكى جدًّا من أباء الكنيسة وقديسيها؛ فلقد قالوا "حيث لا توجد مخافة لا توجد توبة.. لنحيا في مخافة الله اليوم كله" وجاء في الكتاب المقدس كثير من الآيات التي تؤكد ذلك وتؤيده منها:

رأس الحكمة مخافة الله (إن أجمل وأحلى بداية حقيقية للحكيم ذي الفطنة هي أن يخاف الله فلا يكسر وصاياه).

لا تستكبر بل خف (لأن الله يقاوم المستكبرين ويعطي نعمة للمتواضعين).

تمموا خلاصكم بخوف ورعدة (ارتعب وارتعد
وابتعد عن كل من يعطل مسيرة خلاصك المقدسة).
خافوا الله وأعطوه مجداً (اعرف من هو إلهك
واخضع له كما يحق).

إلى هذا أنظر إلى المسكين والمرتعب من كلامي
(تشويق وترغيب من الله، لكي نحيا المسكنة الروحية
فينظر إلينا).

طوبى للرجل الخائف الرب (الطوبى هي سعادة
وفرح روحي. ومن يحيا هكذا يكون في سلام على الأرض
وفي السماء مع المسيح)

وهذا النوع من الخوف هو الذي يصل بنا إلى
الحبة الكاملة لله، فإنه - الخوف المقدس - كثيراً ما يأتي
بالحبة إلى القلب، وحينما يمتلئ القلب بالحبة يُطرد الخوف
إلى خارج.

... فلقد خاف يوسف وهرب من امرأة سيده،
فصار له هذا تذكراً أبدياً مقدساً. نعم خاف يوسف
وهرب، وكأنه كان جوار يوسف النجار حينما كلمه

الملاك قائلاً: قم خذ الصبي وأمه واهرب، وهكذا فعل هو أيضاً واهرب، واهرب مقتدياً بإلهه الذي هرب من وجه هيرودس، وكان ذلك ليس أبداً بسبب الخوف؛ بل كي يرسم لنا طريق انتصار سهل لا خسائر فيه، ويضع لنا أيضاً قانون عدم مقاومة الشر.

لقد هرب يوسف تاركاً وراءه ذكرى دهرية، ودرساً خالداً، ورائحة عطرة، ومثلاً حياً للإحساس الدائم بوجود الله والخضوع للوصية، يحتذي به كل الشباب إلى كمال الدهور. لقد هرب ودخل السجن فصار حرّاً، حرية مجد أكثر من جميع الأسياد عبيد الخطية!!

وهذا عكس ما حدث مع شمشون وعلى النقيض منه تماماً، شمشون المكرس للرب وقاضي إسرائيل، الذي تصلف وتجبر وتكبر، وافتخر باطلاً بنعمة المسيح وقوة الله، التي أعطيت له لا لكي يمزح بها ويحاجي شعب وثني وشباب غريب، ويصرفها لميول الجسد والشهوات الأرضية، بل ليعلم بأمانة ويقضي بالعدل، لشعب الله

الذي اختاره لهذه المهمة فقط وهذا العمل المقدس لا غير.

فلم يهرب شمشون، ولم يخف على إلهه الساكن فيه عندما رأى خداع دليلة وشباب الفلسطينيين الثائر حوله، لقد نام في دائرة الخطر ^(٢)، نام على ركبتى دليلة، والتي كانت كالبركان الثائر، متوقع انفجاره بين لحظة وأخرى، وقد حدث، فلقد رأى الخطر بعينه ولم يتعظ؛ لأنه كان قد فقد البصيرة قبلاً، منذ أن عرفت قدماه الطريق إلى غزة وسورق وفلسطين، أي الخطية والبعد عن أورشليم حيث المذبح، لقد نام مع الحية في مكان واحد فلم يبعد قبره عن بيتها كثيراً.

استيقظ أيها النائم وقم من بين الأموات، وهل كان هذا النداء لشمشون وحده أم لكل سكان دائرة الخطر والكرة النائبة؟

(٢) ألا تعلم أن المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة، ألم تقرأ قول الكتاب إن أعثرتك عينك اقلعها ... ويدك اقطعها، أي كل ما يعطل خلاص نفسك، اقطعه وقاطعه حتى لو كان شخص تحبه كجسدك وعينيك

فلقد مات شمشون سريعاً لأنه توسد عظام نتنة!

فعلاً الصديق يرى الشر فيتواري كيوسف.

الأشرار يعبرون فيعاقبون كشمشون.

(أم ٢٢: ٣)

صرخوا...

الصلاة تجعل الانسان

تحت قيادة الروح القدس

بصفة دائمة.

صرخوا ...

صرخوا كل واحد إلى إلهه.....

وهذه أول إشارة وترجمة عملية، وأكثر وضوحًا
للخوف المقدس، حيث أنهم صرخوا كل واحد إلى إلهه،
أي صلوا، وأي شيء أهم من الصلاة يمكنه أن يضعنا
أمام الله في نفس الوقت؟ وقت الشدة وزمن الضيق، فلم
يرتبكوا بشيء آخر يشغلهم عن نداء الله فشغلوا الله
بهم!!

ولعلمهم قد سمعوا أيضًا عن دانيال ^(٣) والتي كانت
صلاته محفوظة في السماء حيث زق الدموع. حتى حينما
احتاج من يسد أفواه الأسود، كان عمل الملائكة في
الجب وقتئذ وكأنه مدفوع الأجر مقدمًا، هذا إن جاز
التعبير.

صرخوا ...

^(٣) نحن لا نعلم ماذا نصلي لأجله، لكننا لا نكف عن الصلاة قط.
وسوف تأتي الفائدة ولا تتأخر أبدًا حينما نطرح للأسود أو الخطية الرابضة
عند الباب.

الناشر: مطرانية نقادة وقوص للأقباط الأرثوذكس – نوفمبر ٢٠٢١م

لقد اتصلوا بأسرع فرقة إنقاذ، أي أنهم اتصلوا
 بالقيادة في السماء ليبلغوا عن الأمر وعما يجري لهم،
 وهل هذا الخطر وما هم عليه من عليه من
 خوف، وما حل بهم من رعب، معروف وواضح لديهم
 من خلال شاشات كشف ما يجري على وجه الأرض،
 وعرض ما يحدث في جميع بقاع المسكونة؟ ولكن إلى من
 يلتجئوا أيضًا، وها هو إله البحر والبر أمامهم، إنه أقرب
 منهم إليهم، وأسرع من أي خطر يحيط بهم وأقوى (٤)
 وإلا لماذا صرخوا إليه؟!!!!

لعلهم اتصلوا أيضًا بأصحاب الخبرة في هذا المجال
 وذلك الأمر؛ ليسألوا ما هي الصلاة المقبولة في وقت
 الشدة. يا أبانا يعقوب أب الأباء قل لنا ولا تؤخر؟!
 نعم هي صراع مع الله، حتى يطلع الفجر، وتزول
 الظلمة، وتهدأ الأمواج. حتى ترسو السفينة في ميناء الراحة
 وبر السلامة والأمان.

(٤) في كل ضيقاتهم تضايق وملاك حضرته خلصهم

الصلاة هي صراع الليل كله، أي زمن الحياة هذه؛
 لأنه مكتوب: في العالم سيكون لكم ضيق،
 آه يا أحبائي، لعل الله قد سمح باستمرار
 الضيقات في هذا العالم؛ كي لا تنقطع الصلاة أبدًا،
 والأعين لا تغمض قط، والأجفان لا تنعس حتى النهاية.
 وإن لم تكن صلواتنا عن حب نابذة فهي عن احتياج، أي
 إنها مستمرة ولا محالة. ربما هذا ما تعنيه عبارة صلوا كل
 حين ...

وأي شيء يمكنه أن ينقذنا من الضيقات إن لم
 تكن الصلاة؟ (مر ١٤ : ٣٨)

إن كان أحد في شدة فليصل،

وفرح القلب فليرتل،

أمريض أحد بينكم فليدعو قسوس الكنيسة...

وها قد سيح حولنا القديس يعقوب الرسول،

بتلك القوة في عبارة واحدة وكلمات قليلة، حيث إنه
 يعلم تمامًا كم احتياجنا إلى الله، وكم الضيقات التي تحيط

بنا.... (يع ٥ : ١٣ ، ١٥)

ألم تقدروا أن تسهروا معي ساعة واحدة؟ وما هي الساعة الواحدة يا سيدي؟ لو كانت نتيجة الطاعة والسهر تلك الساعة، هو ميراث الحياة الأبدية والخلود الدائم معك، أظن إنها كل الحياة إذن ... وشكرًا!!

من المستحيل وغير المعقول أبدًا، أن نتكلم عن الصلاة والصراخ، ونتحدث عن الصراع، ولا يأتي لك ذكر أو خبر، إن خبرتك وضعت اسمك أول قائمة المنسكبين أمام السيد المسيح أيتها الكنعانية الغريبة.

لذا نريد أن نسألك، كلمينا عن الصلاة وقت الاحتياج والضيق، اكتب لنا تعريف في جمل قصيرة وعبارات مختصرة نظرًا لضيق الوقت وما نحن نعانيه، إذ كيف يكون الطلب وقت الحاجة والسؤال ساعة الشدة والإلحاح أيام الضيقة؟

أرسلني لنا صرخة تدوي في أرجاء المسكونة وإلى أقاصي البحار، إذ نحن في خطر ورجائنا يكمن فقط في صراخنا لله.

فكيف يكون هذا؟ وكيف يأتي الفرج؟ ونأخذ
نحن مثلك ونشكرك

إمضاء،

غرباء في شدة

آه أيها الأحباء من الغرباء حينما يأتون إلى
 حضن المسيح، إلى إله إبراهيم، نراهم يسرعون بقوة كأنهم
 مطاردون وعائدون من غربة وسفر بعيد، يسرعون
 كالنسور حتى أنهم لا يدخلوا حضنه فقط، بل من شدة
 الفرح يندفعون كأنهم بين الضلوع سكنوا، ويختفون هناك
 حيث نبض القلب بالحب والمشاعر بالقبول.

ولكن أين نحن من أولئك، نحن أبناء إبراهيم؟
 يصبون أنفسهم كسهم حيث مكان الطعنة
 وتجاه الجنب المفتوح، فيدخلون سريعًا قلب المسيح،
 ولما الطعنة إذن إن لم تكن لذلك؟
 ولماذا الجنب المفتوح أيضًا إن لم يكن لهذا؟
 لكن هل هم يندفعون بمعرفة؟!

إنني لا أعلم الكثير عن هؤلاء الغرباء، لكنني لا
 أشك في ذلك أبدًا.

إنهم حقًا يعلمون ويدرسون ويعرفون المسيح كله
 حق المعرفة، وظائفه وأعماله، ولماذا جاء وتألم عن الخطاة
 ومات، فيفعلون ذلك وأكثر إنهم يسرقون أنفسهم من

العالم والموت والأهل إلى السماء والحياة والمسيح، نعم
الجموع إذ علموا تبعوه... (لوقا ١١: ٩)

وقبل أن يأخذني الوقت أيها الملاحون، لقد
أرسلت لكم الكنعانية عبارة بسيطة في كلمات مختصرة
تقول ”يا ذاكري الرب لا تسكتوا ولا تدعوه
يسكت“ (أش ٦٢: ٦، ٧)

ما لك أيتها الكنعانية التقية والذكية جدًا؛ لأن
كلمة لا تسكتوا نعيها تماما.

وأما كيف لا ندعه أيضًا يسكت إنها تحتاج إلى
توضيح، نعم فحينما لا نسكت نحن يتحرك هو نحنا،
أليس مكتوب ارجعوا إليّ أرجع إليكم؟

تخلوا معي حينما ذهب السيد المسيح إلى قبر
لعازر، أنه قال للجموع أقيموا لعازر!!
كانوا سيقولون سريعًا إننا لا نقدر أبدًا، فيقول
لهم إذا ارفعوا الحجر.

أي لا تسكتوا... ارفعوا الحجر أيها الأحباء
والمسيح يقيمكم من القبور إلى حياة أبدية.

هذا هو عمله، ومن أجل ذلك قد جاء وأتى
خصيصًا. فنحن كنا في انتظاره، نحن الخطاة الأثمة جدًا.
آه أيها الإله الحقيقي الرحوم، محب البشر الصالح
محيي أنفسنا.

أنفسنا التي قد ماتت واختفت وراء الآثام دهورًا،
وأننت أكثر من لعازر في قبره،

لكننا الآن يا سيدنا لبسناك ^(٥) كثوب، واتشحنا
بك كرداء لتختفي خطايانا، ونختفي نحن أيضًا وتظهر
أنت، أنت وحدك، حتى أن الذين يروننا لا يعرفون من
نحن، فيضطهدونك فينا، ويقتلوننا كل النهار كل الأيام.
فنفرح باكين إذ إننا قد حُسبنا أهلًا لذلك، ودون
استحقاق نحن الآن نُطَوَّب من أجل اسمك!

وآه منك كثيرًا أيها المثال الآخر، يا بارتيمائوس
الأعمى صاحب البصيرة الروحية، إنني أخجل كثيرًا إذ
أجد نفسي أمامك كي أسألك عن الصلاة وقت الضيقة،

(٥) لأن جميعكم الذين اعتمدتم للمسيح قد لبستم المسيح (غل ٣ ٢٧)

وكيف أرى المسيح، والمفترض إنني صاحب البصر والبصيرة والأعين المدشنة والمخصصة فقط لرؤية الله. (مر ١٠ : ٤٦) وها قد صار بارتيمائوس نموذجًا يُحتذى به في كيفية الصلاة المقبولة، حيث أجاب عمليًا حينما سألوه ركاب السفينة الحائرة - وكما تخيلتُ - فهذا هو:

(١) قد وضع نفسه في طريق المسيح حيث أنه يمر هناك، لا تمل النظر والانتظار النهار كله والليل أيضًا، من محرس الصبح إلى الليل، هو هناك في الكنيسة والهيكل، في الأجبية والإنجيل، في العظات والتراثيل، بين المساكين يسكن، في الخدمة في الصوم والعطاء والاعتراف وكل أسرار الكنيسة، هناك حيث كل عمل صالح، لقد تراءى أمام الرب فرآه وشفاه!!!

(٢) فلما سمع أنه يسوع الناصري...

إذا لا تنسى أبدًا عهد تدشين الأذن بالميرون، يوم أن قطعت عهدًا أن تظل هذه الأذن مخصصة للمسيح فارغة من كل نداء غريب وصوت حية قديم وغواية!

تسمع صوته فقط لأنها من خرافه وقطيعه
وتطيعه، لقد تأذت آذان المسيح كثيرًا، وتألمت جدًا من
اللعن والشتم والتعير، كي تظل آذانك أنت متذكّرة هذا
العمل الإلهي، وعهد التخصيص والتقديس والموت
البديل، موت الفداء.

وأه كثيرًا من آذان صموئيل الطفل الصغير، لقد
سمعت نداء الله كل مرة الليل كله... لماذا؟

لأنه التزم بمكان الله، الله وبيته حيث أن هناك
صوت المسيح واضح أكثر،

و آه من صوت الصغير صموئيل حينما يصرخ في
سكون الليل - بينما الناس نيام - قائلاً تكلم يا رب
لأن عبدك سامع.

نعم طوبى لأذانكم لأنها تسمع، طوبى لك أيها
الطفل الصغير، الذي أوّتمن على النبوءة ومعرفة أسرار الله،
بسبب وجودك هناك حيث الله يسكن وأيضًا يتكلم!!

(٣) معرفة المسيح، فلما سمع أنه يسوع الناصري

بدأ الناصري بدأ يصرخ، لا بد أنه كان يعرف الكثير والكثير عن المسيح، وإلا لماذا صرخ؟!

وهل كان ^(٦) يستعطي فقط؟ أم أنه كان يسأل كل من يعطيه صدقة من هو المسيح؟ حدثني عنه، حتى أنه حينما تقابل مع المسيح، قد استرجع في ثوان معدودة، معرفته الكاملة كل السنين الماضية، وما قد اختزنه كله عنه لهذه الساعة.

إن معرفة يسوع الناصري أعطته دفعة قوية أن ينتظره ويثق به ويصرخ إليه؛ لأنه واحد من القطيع وخروف في حظيرة الرعية الناطقة، فلماذا لا يفعل ذلك كله وأكثر؟

آه يا سيدي ليتك أنت أيضاً تعرف من هو المسيح، وباختصار أنه حياتنا كلنا،

إنه الحي الذي لا يموت، ولكن كيف يموت؟
ألم يكن الموت أجرة الخطية؟

(٦) يستعطي ليعيش هذه الحياة بينما معرفة المسيح للحياة الأبدية.

فما هي خطيته هو حتى يمسكه الموت في قبر؟!
 لقد نزل إلى القبور كي يخرجنا نحن أحياء، نحن
 أولاده الذين متنا على مثاله في المعمودية، لذلك نصرخ
 بموتك يا رب نبشر، لأن وجودنا أحياء مع كوننا خطاة
 نستحق الموت، يؤكد أنه يوجد أحد مات بديلاً،
 فحياتنا نحن الخطاة تؤكد موت المسيح النياي، لذا
 وجودنا بشارة بموته كل يوم.

(٤) صرخ: يا يسوع بن داود ارحمني، من دوافع
 الصلاة إما عن حب أو احتياج، وفي النهاية لابد من
 الصراخ، فلقد كان يونان يسير حسب هواه ورؤيته
 الشخصية وفكره الخاص للخدمة، لكن حينما ضاق
 الأمر به في باطن الحوت صلى وصرخ ونادي قائلاً:
 دعوت من ضيقي الرب، فاستجابني. صرخت من جوف
 الهاوية، فسمعت صوتي. (يون ٢: ٢) نعم، يُضَيِّقُ عليهم
 حتى يشعرون.

(٥) انتهرتهم الجموع ليسكت،

لقد عشنا جميعًا هذه العبارة ونحياها كل يوم،
فحينما نصرخ وننادي يسوع ينتهرنا الشيطان كي نسكت
ونبكم ونصمت، ولا ننادي هذا الاسم أبدًا.

لأن من دواعي انتهار الشيطان لنا، أننا حينما
ننادي يسوع يصرخ الشيطان لماذا أتيت قبل الوقت
لتهلكنا، ما لنا ولك يا يسوع الناصري؟ وباختصار حينما
ننادي يسوع فتعذب الشياطين لذا عندما نصلي ونصرخ
ينتهرنا بأسباب كثيرة، ومهما كانت الأسباب فهي واهية
طالما الخسارة أننا لا ننادي يسوع!!

أنه ينتهرنا بأنواع وحروب وطرق شتى، فعلى
سبيل المثال يذكرنا بتقصيرنا في التزاماتنا الحياتية ليشغلنا
عن سر حياتنا ^(٧) وقد يشككنا في عدم استجابة
الصلاة، وقد يذكرنا أيضًا بأجسادنا المريضة وأعضائنا
الواهنة، لأنه يعلم تمامًا أن في الصلاة يعرف الإنسان قدر
نفسه فينشغل بإصلاحها، بينما الشيطان لا يريد ذلك
أبدًا...

^(٧) سر حياتنا هو المسيح.

في الصلاة يعرف الإنسان أنه تراب، فلا يلقي بالملازمة على أحد قط، لأنه يرى كل إنسان أفضل منه فلا يدين أحد.

في الصلاة تأخذ معونة وهذا ما يجعلك قوي وتتنصر، بينما الشيطان لا يريد ذلك أبدًا؛ لأنك وحدك ضعيف!

في الصلاة يتحدث الإنسان عن ضعفاته وسقوطه كثيرًا، ويخجل من الله فلا يعود إليها مرة أخرى. إن وقت الصلاة مهما كان قصيرًا أو قليلًا أنه يقدس اليوم كله بل والحياة أيضًا.

إن الصلاة هي مخزون للإنسان، وطعام لزمان الجوع والعوز والحاجة، لأنه قد تأتي أيام لا نستطع أن نفعل فيها شيء من هذا كله، فكيف يتركنا الشيطان نعمل لزمان الجوع والسنين العجاف؟

وفي النهاية فإن الصلاة تُخرج الشياطين. فكيف يتركك الشيطان تفعل ذلك بينما هو يريد البقاء معك والحياة مع كل الأسرة كل الأيام؟

(٦) فصرخ أكثر كثيرًا،

الجميل جدًّا في هذا الرجل، أنه حينما حاولوا أن
 ينتهروه ليسكت ازداد صراخًا،
 حقًّا لا توجد استجابة دون طلب،
 والمحتاجون إلى الشفاء شفاهم، أي الذين أعلنوا
 بصراخ..

ولقد سألوه - أي طلبوا - أيضًا عن حماة سمعان
 فوقف وانتهر الحمى فتركها فقامت...
 لقد ازداد بارتيمائوس صراخ؛ كي تتناسب صلاته
 مع الانتهاز وصوت الإسكات، فسمعه يسوع وناداه
 وشفاه!!!

هكذا أنتَ أيضًا ذكر يسوع باحتياجك، قل له
 أنا محتاج إليك، ناديني يا سيدي واشفيني.

طرحوا الأمتعة - . . .

وكأن طرح الأمت - -

هو الترجمة العملية

للصلاة النقية!!!

طرحوا الأمتعة... أي كل ما يخص الجسد ويعوق
النجاة.

... لكي يكون الله وحده في حياة أيونا أيوب
الصديق، سمح له بأن تطرح كل أمتعته في يد الشيطان،
ويظل هو وحده مصدر غناه!

وتمسك أيوب بكماله وبالله، ولم يكن الخير الذي
عنده هو السبب في بره، أي لم يأت صلاحه مما كان
يمتلكه من متاع وحطام وأغنام، بل من اعتماده الكلي
على الله.

ولقد تخيل المشتكي أن بعض الأمتعة تمثل شيئاً
عند رجل يمتلك الله كله!! ومتى كانت الأمتعة في كثير
من الأحيان سبب خير لذويها وأصحابها؟! لقد أهلك
كرم نابوت اليزرعيلي أخاب الملك الشرير ^(٨) ولم يكن
طبعاً الكرم وحده السبب في ذلك، بل هو القشة التي

(٨) إن الملك أخاب كان شخصية ضعيفة، تحركه حية داخل

قلب إيزابل امرأته، في جنة إسرائيل.

قَصَمَتْ ظهر البعير كما يقولون، نظرًا لكثرة شر الأسرة المالكة وقتئذ.

وقتل الثوب الشنعاري واللسان الذهب عائلة عخان بن كرمي، بعد عدة هزائم أيضًا لشعب الله أمام قرية صغيرة، عاي (يش ٧: ١٦ - ٢٦) وأصاب الطمع في هدايا نعمان السرياني جيحزي وكل نسله بالبرص إلى الأبد (٢ مل ٥: ٢٧)

أظن أن الملاحين كانوا يصرخون وهم يطرحون الأمتعة: ماذا يستفيد الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه،

ألم يصل هذا النداء إلى أخاب وعخان وجيحزي وقتئذ، والآن لأمثالهم؟؟! لقد كانوا يتمنون لو وصل هذا الصوت للعالم كله وإلى أقاصي المسكونة.

وكثيرًا ما يرسل الله ريحًا شديدة وعواصف ونوء في إثرنا، كي تلتهم ما يثقل سفينتنا ويعطلها عن السير خلفه، ويهدد التبعية له والمعية المقدسة، وهذا ما يحزن الكثيرين لعدم فهمهم لخطة الله الخلاصية.

لا أيها الأحباء يوجد كثير من الأمتعة على ظهر السفينة نحن لسنا أبدًا في حاجة إليها، إنها تعطل مسيرتنا الروحية وتجهدنا في طريقنا إلى كنعان، وتسبب أيضًا ارتباك وقلق كثير، لأن الذين يرتحلون مع المسيح ينبغي أن يكونوا متحررين من كل ثقل.

فيا ليتك تجلس مع نفسك كل فترة كحساب ختامي عن تلك المدة، وتفحص أمتعة سفينتك، لترى ما هو مفيد ونافع، وما هو ضار ومعطل ويثقل كاهلك، إنها أمتعة كثيرة على متن السفينة، أظن أن جمعها ليس أبدًا للخير والصالح، ولسنا في حاجة إلى الكثير منها.

ليتك تجس كل الأمتعة، ربما تجد أصنام لابان تحت الخباء هناك عندك مدسوسة (تك ٣١).
وطالما يوجد أصنام وألهة غريبة، دون شك ستظل الرياح مستمرة والعواصف لا تسكت أبدًا!!
كل ثقل

كثيرًا ما يرسل الله ريحًا شديدة وراءنا كي تأخذ
ما أوصى ألا نحمله،

فتأخذ الكيس والمذود والعصا والأحذية ونحاس
المناطق والذهب، كي نشعر أيضًا بعمل يديه التي تبارك
في القليل الذي لنا، فنشكره.

إنه لا يريد أن الأمتعة تشغلنا عنه، فربما قد سمح
أيضًا للسفينة التي كانت تقل التلاميذ أن تضطرب، نظرًا
لانشغالهم بأمعتهم الخاصة وانصرافهم عنه، وهكذا عرف
كيف يأتي بهم إليه فيخلصهم!!!

فيا ليتنا نعرف قصد الله أنه دائمًا لخيرنا، ألسنا
نحن جبلته التي مات عنها؟!!!

إنني في غاية الحرج والحنجل منك يا سيدي البار
لوط (تك ١٩ : ٣٠ - ٣٨)

فأين أرض سدوم وعمورة؟!
تكلم يا سيدي لوط، لقد اخترت وأخذت
وتركت أبرام رمز وجودك مع الله. (٩)

(٩) كينونته لوط السائر مع أبرام، هكذا كان يُعرّف.

وها إني أراك خارج من هناك تجري مسرعًا،
وكأنك مطارد، خاوي اليدين وخالي من كل متاع وشيئًا
يذكر، فأين الأملاك الواسعة التي تركت من أجلها أبرام
رجل الله، وقد فعلت ذلك بإيعاز من رعاتك، وكان ينبغي
لك ألا تسمع لهم في ذلك الأمر أبدًا.

أين الأرض المعشبة كجنة الرب كأرض مصر؟
ألم تترك الرب الساكن في أبرام من أجل طعام
حيوانات وأكل بهائم؟

أين أمتعتك يا سيدي لوط وما ادخرته لنفسك
كل ذلك الزمان، زمن الغربة والبعد عن رجل الله؟
لقد اخترت طعام بائد، وتركت عنك الطعام
الباقى الذي للحياة الأبدية،

لقد تركت أبرام وكان هو علامة قربك من الله
وقرب الله منك.

وما فائدة الأمتعة، إنها كثيرًا ما تنم عن عدم
وجود المسيح داخل السفينة!!!!
أما عن سيدي لوط:

أنظروا نظرًا شافيًا بالتدقيق وسيروا كحكماء لا كجهلاء، لتكتشفوا...

إنه ساكن الآن وحده في صوغر فوق الجبل ووسط القفار مع ابنتيه، تاركًا وراءه إشكالية احتار الكثير والكثير من الآباء فيها.

وهل ما فعلته ابنتاه خطأ أم صواب؟! وإن كان كثيرون من الآباء قد التمسوا لهن عذرًا؛ نظرًا لعدم تكرارهن الخطأ، بحجة إنهن لسن أبدًا من أجل الشهوة قد فعلن ذلك، بل لإقامة نسل؛ لأنهن كن ظانتين أن العالم كله قد احترق في سدوم بلدهن. لكن أيضًا الكثير من الآباء لا يوافق على ذاك الرأي، ولا يبرهن أبدًا؛ لأن الخطأ واضح، وحجة التبرير كانت ضعيفة.

وأخيرًا مسكين أنت يا أبي لوط صاحب الأمتعة الكثيرة، ولكن بما إنها جاءت في بلاد شريرة، وبين أناس خطاة، وطريقة اختيار غير مدروسة، فهذه نتيجة أيضًا متوقعة جدًا.

وقصتْكَ هذه تذكرني وكأنني بصدد رواية بدأت
ببطل خائن، فانتصر عليه العدو، وأخذ قريته دون حرب
أو مقاومة!!

آه من الأمتعة الضارة مثال الحقد والحسد والإدانة
والشهوة والأفكار الشريرة، إن وجود كل هذه الأمتعة في
السفينة يشغل مكان من المفروض أن يكون لسكنى الله.
الله وحده، لأنكم هياكل الله، وما بداخل هذه
الهيكل لا يقل أبدًا عن أواني المذبح التي تحمل الذبيح
كل يوم!!!

وطالما جاء ذكر للإدانة، انظروا إلى مريم النبيه،
مريم أخت هارون وموسى، صاحبة أفضل أيادي ضربت
دُف وآلات تسبيح للرب في العهد القديم، (عد ١٢)
ماذا أصابك يا بنتي النبيه؟ فلقد تركتِ الحمد والتسبيح
والشكر، وحملتِ في فمك متاعًا ضارًا، لا يقل أبدًا عن
سم الحية في القديم، لقد ألقيتِ الدُف جانبًا، وطرحتي
عنك كل ما يمجّد الله؛ كي تتفرغي أنتِ لفحص الآخرين

وحياة رئيس الأنبياء موسى، وتكلمي وتدينني وتحكمي
على الرجل الحليم جدًا، من أجل المرأة الكوشية.

ولقد أثقلتِ سفينتكِ بحمولة شلت الركب
المقدس كله عن الحركة تجاه كنعان وارض الميعاد، مدة لا
تقل عن سبعة أيام، وإن كانت الأيام السبعة عدد قليل
في ظاهره، لكنه يرمز إلى أن الحزن الذي أصابك وأصاب
جماعة الله، كان شديدًا جدًا وكاملًا.

وهذا هو المردود الطبيعي لخطيتك وقتئذ، ولولا
الصلوات الكثيرة التي أقيمت من أجلك، وشفاعة أخيك
موسى القديس، ما كنا نعرف ماذا كان سيحدث لك
أكثر في مقبل الأيام وجسدك الأبرص!!

وأيضًا ومع شديد الأسف والاعتذار لكن أيتها
الأخوات بنات حواء، لأن ضفر الشعر والتحلي بالذهب
ولبس الثياب، وكل زينتك الخارجية جميعها، حُسِبَت

أمتعة لا فائدة منها، حيث إنها غير نافعة بالمرة، ولقد أحصيت مع الأمتعة الضارة كقول الكتاب (١٠)

وماذا يقصد الكاهن إذن في نهاية القسمة في القداس الإلهي، وهو يصرخ: طهر أنفسنا وأجسادنا وأرواحنا وقلوبنا وعيوننا وأفهامنا ونياتنا؟ وما هذا إلا التطهير من ثقل تلك الأشياء وجميع الأحقاد..!

لكن انظري يا مريم إلى موسى أخيك، لقد طرح كل أمتعته، فرعون وابنته وصلة القرابة والنسب الواهي، وجميع ما في القصر من مغريات باطلة، وخرج مسرعًا ليزل مع شعب الله، حاسبًا عار المسيح غني وخبز حي وطعام باقي أفضل من جميع خزائن مصر،

(١٠) طبعًا المقصود هنا المبالغة التي تؤدي إلى الاهتمام بالجسد وإهمال الروح وعشرة الآخرين، وإن الشيء المعقول مقبول، أيها الأباء الكهنة ليتكم تقاوموا عدم الحشمة بكل ما تستطيعون من قوة وكلمة، وإن عشرة منهن في الكنيسة محتشمات يشفعن في العالم كله، وأما اللائي غير ذلك هن السبب في زوال المجد من إسرائيل.

الناشر: مطرانية نقادة وقوص للأقباط الأرثوذكس – نوفمبر ٢٠٢١ م

وكان المسيح هو الزاد والطعام والمتاع، الذي تزود به موسى طوال مدة إقامته في البرية ومسيرته المقدسة ورحلة الخلاص في القفر والغربة.

وكأنني أراه يصرخ مبتسمًا مشجعًا شعبه السائر معه، نحن فقراء ولكن نغني كثيرين، كأن لا شيء لنا ونحن نملك كل شيء، ولما لا وها هو يملك الله كله؟

فلا شك أبدًا أنه في الوقت واللحظة التي طرح فيها موسى كل ما ذكرناه من أمتعة باطله، قد سكن الله مكانها بديلًا، فإذا كيف تكون المكافأة غير ذلك والأجر أقل؟!!!

ولقد تذكرتُ أيضًا تلك القصة التي كتبها قداسة البابا شنودة الثالث، أطل الله حياته، عن الراهب أنسطاسي الذي حينما أفاق من غفلته وغفوته، أول عمل قام به هو أنه قد طرح كل الأمتعة التي في القلاية، يهياً لي أن القلاية كادت أن تطير فرحًا ومرحًا، إذ أنها عتقت من عبودية الفساد، حيث إنها مكان لانسكاب الدموع والميطنات والصراخ والصراع والصلوات والقراءات

وقرع الصدور وطلب مراحم الله للعالم كله، وهذا هو العمل الأساسي أو بالأحرى الوحيد لذلك المكان المقدس، إنه معمل الأبحاث الروحية لجميع الأباء الرهبان إلى كمال الدهور.

وعموماً كل من يهتم بأبديته يلقي بكل الأمتعة في كل بحر يقابله، والعاقل لا ينتظر ريجاً شديدة ونوء عظيم يجبره على فعل ذلك.

وها بولس الرسول قد صار أعزل من كل شيء عدا المسيح فقط، لأن كل أمتعته حسبها نفاية!

وآه منك كثيراً يا يوسف بن يعقوب، وكيف طرحتَ عنك كل ذلك السلطان وبيت فوطيفار والخطية أو بالأحرى امرأة سيدك، كيف وأنتَ عبد غريب صغير السن بعيداً عن كل رقابة وقرابة؟!

إن الظروف المحيطة ترجح كفة السقوط، لو لم نأخذ في الاعتبار أن الله في قلبك يسكن، وفي عمق حياتك يعيش، ومنذ طفوليتك وأيام خيمة يعقوب وخباء راحيل المحبوبة.

وهذا الذي جعلك من الخارج عبد عند فوطيفار سيدك، ولكن من الداخل تحيا كل حرية مجد أولاد الله. إن وجود الله في قلبك لم يترك بالطبع مكانًا شاغرًا لأمتعة فوطيفار أو امرأته، لكن كيف طرحتَ عنك كل هذا.

تكلم يا سيدي واشرح لي ولشباب اليوم الذين يحبونك كثيرًا، لكنهم يتعثرون في الطريق، وبعضهم لا يعرفون كيف يسلكون مثلك؟

كيف طرحتَ المٌتاح والمَتاع المريح والمضمون، وتمسكتَ بالله والسجن والضيق والتعب؟!

آه يا سيدي، فلقد طرحتَ قسرًا والبديل كان سجنًا، وطرحتَ الخطية وإلحاحها الكثير والمتكرر، وكان البديل وحدة لك وظلمة، لقد طرحتَ سلطان وجاه والبديل سلاسل وقيود وحديد في غرفة مظلمة بسجون مصر، فقال تكلم يا كاتب وأكتب يا قلم فهذه وجهة نظرك، أما يوسف فكان يسعى منذ البداية وفجر حياته

أن يمتلك الله كله ^(١١) وحينما فعل ذلك قام بالمهمة كاملة، في بيت فوطيفار وسجون مصر، وتدير كل أمور العالم، أما يوسف فلم يفعل شيء من هذا أبدًا!!

(١١) نحن نمتلك الله بقدر ما نتركه أن يمتلكنا.

كرزوا (١) ...

مالك نائمًا؟!

كرزوا (١) ...

مالك نائمًا ...

يا نفسي قومي واستيقظي، ها قد بدت شمس
المغيب، والنور من حولك ينبئ بقرب الرحيل!!
من قديم الزمان وأوائل السنين، والآباء القدامى
يصرخون بأن الأيام قليلة، قليلة وردية، والحياة كبخار،
وجاء أيضًا على لسان داود النبي ”العمر أشبار وكلا
شيء قدامك“ (مز ٣٨: ٥)

فكيف بعد ذلك أيها الأحباء يأتي للأجفان
نعاس؟ وللمآقي راحة؟ وللعيون نوم؟
وبالفعل قد عاش هؤلاء الآباء كل هذه الأقوال
عمليًا، وقد أخذوها على محمل الجد، وها موسى العظيم
في الأنبياء يرفض أن يصير ابنًا لابنة فرعون، مفضلًا أن
يُزل مع شعب الله على أن يتنعم بالخطية زمانًا يسيرًا.

ورأينا أيضًا أبانا إبراهيم يهتم بالمذبح وحياة
الصلاة وعلاقته بالله، على حساب كل ما هو أرضي
وبائد وفاني، فقليل عنه أنه كان ينصب خيمته، أي أنه
الناشر: مطرانية نقادة وقوص للأقباط الأرثوذكس – نوفمبر ٢٠٢١م

غريب ونزِيل وضيع على هذه الحياة، مع إنه كان غنيًا جدًا، أما المذبح فكان بينيه، ولهذا معنى عميق جدًا، أي لا بد أن يكون للحياة الروحية أساس على الصخر وعمق، ليت المذبح يسرق منا العمر كله فلا نجد وقت أبدًا نصرفه للخيمة.

وآه لو قدر لنا أن نسأل العظام في القبور، لصرخت قوموا يا بني النور كي تسبحوا رب القوات، وآه من الندم إننا لم نفعل ذلك أبدًا؛ لأن العمر الذي يُحسب للإنسان هو ما قد صرفه في التسبيح فقط وبناء المذبح!!

مالك نائمًا وقد بدأ النهار يميل.

قم لئلا يأتي العدو ليلاً ويزرع لك في الحنطة زوانًا، فلقد تعبت وبذرت وزرعت وغرست أيامًا كثيرة، وها قد أثمر كرمك، وفاحت منه رائحة الطيب من بعيد، وناردين كثير الثمن، فالآن لا يوجد وقت للنوم، ولا ساعات للنعاس، ولا شيء أبدًا للراحة.

لقد بكيت كثيرًا، وبللت فراشك بدموعك مرارًا، وصليت وصنعت ميطانيات وأصوام وسهر كثير، وعطش

حتى الموت وجوع بلا حدود، فلا يصح ولا يصلح الآن
أبدًا أن تترك كل هذه الثمار في الحقل وتذهب لتنام،
مالك نائمًا، قم لئلا يضيع تعبك سُدىً وعمل يديك
باطلاً.

مالك نائمًا

لقد أقامنا الله وأعطانا أن نكون وكلاء، بمعنى أننا
لا نملك كل ما عندنا، بل ولا شيء منه قط، فكيف ننام
ولا نحافظ على هذه الوكالة، والتي ستطلب منا في ميعاد
غير معروف ووقت نحن نجهله (أمساء أم نصف الليل أم
صياح الديك) ليتها تطلب وحدها فقط بل ومعها ربح،
وقد رأينا العبد الذي قدم وزنته بدون ربح، حُسِبَ شريكًا،
فكيف ننام نحن؟ وكم وكم أيضًا من أضاع وزنته؟

إنها الآن ساعة لنستيقظ من النوم ...

نستيقظ من النوم، ونخلع ونطرح ونرمي كل
أعمال الظلمة، التي لبست في أجسادنا زمانًا طويلًا،
حتى كادت أن تذوب فيه وتفتت عناصره، والآن فلا

نعرف هل ما يصدر منا من إساءات، هي أعمالنا نتيجة التصاقنا الكثير بالظلمة؟ أم هي بإيعاز من الشرير؟

ما لك نائمًا ...

سيدي داود النبي، ما لك نائمًا؟ قم اذهب إلى بني عمون وتشاور معهم... كيف أخذتم تابوت العهد لترجعه؟ كيف تنام سيدي داود وقت الحرب؟ وها تابوت العهد قد أُخذ منكم؟

وكيف تعطي عينيك راحة بينما الله بعيدًا، وأجفانك نعاسًا بينما إلهك ليس عندك، كل الجيش يحارب حروب الرب وقتئذ بينما أنت نائم، بصدق إنني لا أعرف كيف حدث ذلك من رجل مثلك، ليتك بعد قسط من النوم وساعات راحة قمتَ لتسأل كيف حال الجنود رجالك؟ وهل مازال تابوت عهد الرب بيد الغرباء؟ سيدي الملك داود، ما كان يهملك جنود، أو عدم وجود إله؛ لأنك قمتَ لتتمشى، وقد تركتَ لعينيك العنان لكي تتفرس وتتلصص وتنظر بشهوة ضد الوصية

وأقوال الله، لأنه ليست كل نظرة هي خطية بل كل من ينظر ليشتهي.

أما أنتَ فنمتَ وقمتَ ونظرتَ واشتهيتَ وزنيتَ وخططتَ وربتتَ وقتلتَ، إن كل هذه الثمار من بذرة صغيرة واحدة، قد زرعتهَا في غير أوانها ووقت غياب التابوت (١٢)، إنها زرع للجسد، وقد جاءت بحصاد وفير وجني عار والأجرة موت، لقد زرعتَ على فراشك وقت أن كان كل جنودك يحاربون تحت أسوار التابوت العمونيين ويزرعون بالدموع، وربما كانوا قد تخللوا إنك بالمنزل تعضدهم بالمزامير، وتسندهم برفع اليدين كموسى ...

ألم تسمع أنتَ يا سيدي يونان أي شيء من هذا كله كي تذهب أنتَ أيضاً وتنام؟ إن الريح والنوء والعواصف من كل ناحية والسفينة كادت تنكسر، والعجيب أن كل ذلك حدث بسببك أنتَ، أنتَ أيها النائم، لكن أي عقل يقر ذلك الفعل وتلك الجريمة؟

(١٢) التابوت يرمز لحضور الله

مالك نائمًا

قم أنظر يا سيدي يونان كي ترى يعقوب الشاب الصغير حينما هرب من أخيه عيسو، وذهب غريبًا وحيدًا إلى أرض بعيدة، إلى خاله لابان، لقد استثمر كل دقيقة وثانية من عمره وأيام غربته؛ كي يرجع ومعه ما يُفرح قلب إسحق أبيه، ولقد عبّر عن ذلك بقوله: كنتُ في النهار يأكلني الحر وفي الليل الجليد وطار النوم من عَيْنَيَّ، أنظر يا سيدي يونان ما جاء به هذا الصغير من أرض الغربة وبلاد لابان، ”فقام يعقوب وحمل أولاده ونساءه على الجمال. وساق كل مواشيه وجميع مقتناه الذي كان قد اقتنى: مواشي اقتنائه التي اقتنى في فدان آرام ليحيى إلى إسحاق أبيه إلى أرض كنعان.“ (تك ٣١: ١٧، ١٨) أنظر يا سيدي مالك نائمًا، بينما يعقوب يذهب بعد ولادة يوسف إلى خاله لابان، ويطلب منه أن يصرفه ويأذن له بالعودة، لكن لابان يرفض ويتمسك به ولا يريد أبدًا أن يطلقه، فقال يعقوب عبارة غاية في القوة والعمق

والآن متى أعمل أنا لبيتي؟“ وقد اعتبر كل مقتنى لابان الذي تعب فيه هو ليس أبدًا لبيته!

قم يا سيدي يونان اسمع إلى نداء هذا الشاب الصغير، قم أكرز من أجل بيتك، لأن كل عصيان وغربة وسعي باطل على وجه المياه سيعرض حياتك كلها للخطر والموت.

مالك نائمًا بينما كل غصن لا يأتي بثمر
يُقطع ...

كل أعمال الظلمة غير المثمرة ليست لبيتك.
كل ما يخص الأرض والجسد والتراب ليس أبدًا
لبيتك.

قم يا سيدي كي تسقي المسيح العطشان.
قم يا سيدي كي تكسو المسيح العريان.
قم يا سيدي كي تطعم المسيح الجوعان.
إنه قريب منك، حيث إنه يسكن بين الذين ليس
لهم أحد يذكرهم. ألم يكن لعازر المحتاج المريض ساكنًا
أمام نظر وسمع الغني كل حين؟ ولقد تجاهله تمامًا؟ نعم،

لقد كان يعرفه جيدًا، بدليل أنه وهو في أشد عذابه في الجحيم، قد طلب من أبينا إبراهيم أن يُرسل له لعازر ليبرد لسانه، ولهذا فإننا يوم الدينونة سنحاسب على التقصير وليس فقط على السقوط. لأن "من يعرف أن يعمل حسنا و لا يعمل فذلك خطية له" (يع ٤: ١٧)

لقد تذكرت قصة ذلك الملك الصغير، الذي اختير ملكًا ليحيا في ملكه عامًا واحدًا، ويتوج على عرشه سنة لا غير، وبعد يلقي في براري قفرة، حسب نظام وعادة تلك البلدة، حيث لا يستمر الملك أكثر من عام، يُلقى بعده في قفار بعيدة وجبال موحشة، تظهر كأنها ظلام في وضوح النهار. فبعد الاحتفال الذي أقيم لهذا الشاب، قام باكر اليوم الأول لتتويجه ملكًا، وأظن أنه لم ينم تلك الليلة أبدًا، لقد قام مسرعًا مدعورًا، يسأل كبار البلدة ورجال تلك المدينة، أين المكان الموحش الذي سوف أقضى فيه حياتي وعمري كله بعد ذلك العام، فأخذوه وساروا مسيرة ثلاثة أيام، وبصعوبة صعدوا به تلك الجبال الشاهقة، وشاهد بنفسه المكان على

الطبيعة. وقد رأى جماجم وعظام الملوك سابقه من تلك البلدة، فأسرع نازلاً وجمع كل حكماء القرية وكل من له حكمة وفطنة في عمل ما، لم ينم عامًا كاملاً، وكيف ينام المسكين بينما الوحدة والقفر في انتظاره، والموت يتربص له هناك كسابقه من ملوك تلك البلدة؟ فكان ينتقل من مكان إلى مكان في كل المدينة يجمع كيوسف لزمن الجوع وأيام الجفاف، وصنع هناك مدينة تحوي كل ما يحتاج إليه إنسان عصره، من مزارع وبساتين وقصور فخمة، وكل ما اشتتهه عيناه لم يمسكه عنهما، ولما لا؟ وها هو ذاهب إلى هناك، إلى النهاية بلا عودة، وهكذا صارت بلدة ملكه كقفر قياساً لتلك المدينة الجديدة التي صنعها في مكان الموت.

أما أنتَ فمالك نائمًا؟ وكم باقي لك من العمر؟ وكم مضى منه؟ وماذا فعلت للمستقبل؟ مستقبلك الأبدى!!

لكن الغريب والغريب جدا في كرازة الملاحين للخدام يونان، إنهم تركيبة عقلية جبارة ومثقفة للغاية،

لقد بدأوا الحديث والكراسة والتبشير لإنسان نائم، فماذا كنا نتوقع أن يقولوا له؟ حيث اتسمت عظمتهم بالموضوعية، لقد قسموا موضوع العظة إلى أكثر من قسم؛ كي يتناسب مع حالة المخدم النائم، لقد قالوا له في أول الأمر **مالك نائمًا**، حتى متى استيقظ النوم وقام من غفلته، ورأى ما هو عليه من خطر وخسارة وخطورة، يبادرونه بعد ذلك بمبرر وحجة قائلين له **قم أصرخ إلى إلهك ...**

ما هذا أيها الإخوة الخدام؟ وما هذا أيضًا أيها الملاحون الأذكياء؟ لقد قالوا له مالك نائمًا لكي يشعروه بالموقف والخطر والواقع المرير كله، حتى حينما يُطلب منه بعد ذلك أن يصلي ويصرخ، يكون قد شعر بحقيقة الموقف فلا يتباطأ أبدًا ولا عزز له بعد. قم يا سيدي الغريب، والضيف النزيل على هذه الحياة وهؤلاء الغرباء، آه يا سيدي يونان، ليس هذا الوقت وقت نوم ونعاس وراحة وهروب واختفاء، ألا تنظر معنا إلى بطرس الرسول وهو نائم؟ وكان وقتئذ لليقظة والسهر والصحو والجهاد

والخلاص، إنه لم يسهر ولم يقم من ثباته حتى بعد أن شرح له السيد المسيح كل الأبعاد وفائدة اليقظة والصلاة، ومردود النوم وثقل الجفون. لقد نام بطرس يا سيدي يونان بعد وعظ كثير وتوضيح صريح من السيد المسيح وإرشاد وعتاب. ألا تعلم ماذا حدث نتيجة عدم الطاعة لكل ذلك؟ نعم إنه قام أخيراً، قام ليقتل ويضرب بحد السيف، قام لينكر ويلعن مخلصه، شكراً لك يا سيدي بطرس. لقد تعلمنا منك تمامًا أن نسهر ونسهر ونسهر، ولا نعطي أعيننا راحة أبداً، ولا للأجفان نعاساً كل هذه الحياة وذلك العمر، حتى لو أدى ذلك إلى الموت، وهذا أفضل بكثير من أن نعيش في ثبات ونوم، ثم نقوم بعد ذلك نلعن المخلص وننكره.

مالك نائماً؟

وكيف ننام أيها الإخوة بينما العذارى يصرخن يا ربنا يا ربنا افتح لنا، وها هو من الداخل يجب لا أعرفكن، ألم تصل أصوات صراخهن إلينا إلى الآن لتقلق مضاجعنا؟

ألم يصل صوت المسيح بالتجاهل، تجاهله إياهن
إلينا إلى الآن؟ كي نشعر بالخطر ونخاف من مصير مرعب
ينتظرنا مثلهن؟!

مالك نائمًا؟

فلو لم يوقظك الخوف والبعد، وظلام الآخرة
والحرمان من الله؛ ليقيمك من غفلتك صوت صراخ
المسيح تحت يد الجلادين القساة، آه وهو يصرخ من شدة
وقع الشياطين الذي كان يهوى عليه بشراسة وحماسة حتى
تقرأ جسده وريق دم الثمين على أرض اليهودية وجبال
الجلجثة.

مالك نائم يا سيدي بينما سيدك يصرخ من شدة
الآلام، آلام الموت النيابي الذي لا يستحقه هو أبدًا بل
أنت.

ما لك نائم، قم لئلا تصرخ ”كيف ننجو نحن
إن أهملنا خلاصا هذا مقداره؟“ (عب ٢ : ٣)

مالك نائمًا ...

قم لأن إبليس خصمكم يجول ملتمسًا أن
يبتلعكم، والنائم دائما قليل المقاومة، وعرضة للخطر
والموت والهلاك، ولا سيما إن كانت الخطية عند الباب
رابضة، أي قرية وإليك اشتياقها.

أخبرينا يا عروس النشيد كيف كنت تتعللين بخلع
ثوبك وغسل رجلك؟ بينما حبيبك على الباب يقرع، ألم
يكن هذا كلامك ”صوت حبيبي قارعا، افتحي لي“؟
مالك نائمة بينما رأس حبيبك امتلأ من الطل
وقصصه من ندى الليل؟ ويصرخ أريني وجهك اسمعيني
صوتك، نعم لقد خرجت وصرخت وبحث لكن بعد أن
تحول حبيبك وعبر.

كرزوا (٢) ...

قم أصرخ إلى إلهك.

كرزوا (٢)...

قم أصرخ إلى إلهك

يا لروعة الفكر المستنير الذي لهؤلاء الملاحين
الأتقياء، فلم يقولوا له قم أصرخ إلى إلهنا؛ فليس لديهم
أي وقت أبدًا الآن لكي يجاملوا الآلهة أو يُجملوا صور
المعبودات، إن الوقت مُقَصَّر جدًا، وأهم ما يرونه الآن هو
النجاة والخلاص.. فلا داعي للتعصب للآلهة. وماذا
يفيدهم من الآلهة إن كانت لا تملك أن تفعل لهم كل
هذا، وهل يموتوا هم لكي تحيا الآلهة؟

وإن كانت لا تقدر الآلهة أن تعطيهم حياة فهي
مائعة، إذن فهذه ليست آلهة. فلا داعي أبدًا أن يموتوا هم
لكي تحيا أصنامًا، أظن كل هذا كان وراء قصدهم من
عبارة قم أصرخ إلى إلهك.

وكأنهم يقولون له: يا سيدي يونان ألا ترى معنا
أنه قد جاء الوقت، وقت الصراخ، وإن لم يكن الآن يا
سيدي فمتى ينبغي لنا أن نصرخ؟

إن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم، قم إذا يا سيدي إن صوت الرب في الرياح، صوت الرب في النوء الشديدة، إن الله يأتي لكل إنسان ويتعامل مع كل أحد بالطريقة التي يراها تتناسب معه، وفي النهاية هو يعرف تمامًا كيف يرجعه.

لعل الله قد سمح في القديم أن يتكلم بني لابان على يعقوب، لقد قالوا "أخذ يعقوب كل ما كان لأبينا.. وتغير أيضًا وجه لابان وأصبح ليس كأمس وأول من أمس، هل لكي يشعر يعقوب بالغربة ويتذكر أنه ليس من هذه الأرض؟ ويعرف أيضًا أنه لا بد له أن يرجع إلى كنعان وإلى إسحق أبيه، وهكذا فعل و لم يتوان قط.

قم أصرخ إلى إلهك

ربما قد سمح الله أيضًا لقرية الغربة وبلاد التيه بالجوع والعوز والحاجة، كي يستيقظ الابن البعيد، ويأخذ لنفسه درس ومن التجربة يتعلم، وفعلاً قد وضع مقارنة صحيحة في عدة كلمات قليلة، بين ما كان عليه في بيت أبيه من شبع وراحة، وما وصل إليه الحال في بلاد الغربة

وأرض الشقاء من جوع وعري، وقال عبارته القوية ” الآن أقوم وأذهب إلى أبي “ يهياً لي أنه كان يصرخ في طريق العودة ارجعوا، ارجعوا إلى بيت الأب أيها الغرباء، حيث أن الكرة البعيدة لا تصلح لسكنى أبناء المسيح، ولا تحمل لهم سوى أدوات الموت، ارجعوا، إن طعام الخنازير لم تهضمه المعدة المخصصة لخبز الحياة، والتي اعتادت أن تأكل طعام الحياة الأبدية والدهر الآتي... ارجعوا، إن معالم الطريق لبيت الأب للآن ما زالت ممهدة وواضحة، إننا لا نعلم أبداً ماذا يحمل لنا الغد إن تكاسلنا و لم نرجع الآن وبسرعة.

قم أصرخ إلى إلهك...

وهذا راهب من بستان القلمون ودير الأنبا صموئيل، رأيته يصرخ ويصرخ كثيراً ولا يكف عن الصلاة، حتى يكمل قانونه الروحي كله وتدبير يومه المقدس. أي أنه كان يصلي صلوات الأجبية من صلاة باكر حتى نصف الليل دفعة واحدة، وحينما سألته لماذا هذا الكم من المزامير في وقت واحد، ولماذا لا تصلي كل

ساعة في أوانها حيث أنك مريض، وما تقوم به من أعمال يتناسب مع ذلك؟ فأجاب قائلًا: كثيرًا ما يفاجئني ألم المرض، إنه لا يُحتمل أبدًا، فأستغل الوقت، إنني أقدر على احتمال الألم أحيانًا، فأفعل ذلك وأصلي جميع المزامير، هذا الراهب كان يعاني من دوالي بالمريء وتليف نشيط بالكبد وأمراض أخرى، فعلاً قد تنيح على أثر ذلك وعمره لا يتجاوز خمسة وعشرون عامًا، وها قد رأينا الراهب المريض يسرق نفسه من جسده العليل، ويصرخ كي يتقدس اليوم، وحتى لا يُفوّت عليه عدو الخير لذة الصلاة عندما يشتد عليه المرض.

لقد رأيته في أشد أوقات مرضه لا يكف عن العمل اليدوي^(١٣) أبدًا، وحينما بادرت به بأن صحته لا تحتمل شيئًا من هذا، فأجاب قائلًا: إنني أعمل بثمرن الخبزة التي أكلها حتى لا أشكل عبئًا على أحد ولا أكون ثقلًا على الدير.

قم أصرخ إلى إلهك

(١٣) لقد كان يعمل على ماكينة لتغليف صور القديسين.

بصدق من لا يصرخ الآن سوف لا يستطيع أن يصرح أبدًا... لماذا؟ لأنك لم تصرخ وقت القدرة والقوة والمعرفة. فهل حينما يموت كل هذا ستصرخ؟ وكيف هذا؟ وماذا أيضًا عن قول الكتاب ”أذكر خالقك في أيام شبابك“؟ وها قد تمكن الضعف منك جدًّا، وصرت سقيمًا كلك، وماذا سيفعل المريض بعد ^(١٤)؟ قم أصرخ الآن وتأسف على الأيام التي كنت فيها نائمًا في قاع السفينة، هاربًا وعاصيًا وخاطئًا.

قم أصرخ الآن كي يفرح ملاكك الحارث، ويعود لعمله معك بعد أجازة حزن وعطلة إجبارية، لأن ملاك الله يحل حول خائفيه وينجيهم.

قم أصرخ إلى إلهك كي يتقدس البيت والأسرة، حيث إنك القائد والرأس والمدير والمسئول، ولكي تكون أهلاً لكل ذلك لا بد أن تفعل هذا.

(١٤) فعلا قد يستأسد الكلب حينما يرى أن الأسد مات أو قد توارى.
الناشر: مطرانية نقادة وقوص للأقباط الأرثوذكس – نوفمبر ٢٠٢١م

قم أصرخ إلى إلهك معتمرًا عن أيام الطيش وسني الحماسة، وانزع الحرام من وسطك يا إسرائيل كي تثبت أمام أعدائك وتنتصر.

قم أصرخ إلى إلهك، حتى حينما يأتي الملاك المكلف بأخذك إلى السماء، يجذك هكذا تصرخ، فيضعك في مكان يتناسب مع الوضع الذي رآك عليه وأخذك منه، فتسبح مع الملائكة إلى الأبد.

قم أصرخ إلى إلهك، لأن الوقت مقبول، مفتدين الوقت لأن الأيام شريرة....

الأم حنينة راهبة إيارشية نقادة وقوص المشهورة والمحبوبة صاحبة السيرة العطرة والحياة الفاضلة، كانت أثناء قيامها لتصلي تصنع ميطانيات كثيرة وسجود بلا عدد، وتقول إنني أصرخ الآن طالما في صحة، إنني لا أعلم ماذا يحمل لي الغد ويوم باكر، وسوف تأتي أيام لا أستطع أن أنحي فيها أمام الله نظرًا لوهن الجسد، إنني أزرع الآن بكثرة ودموع لكي أجد طعامًا في زمن الجوع، لأن الإنسان في الكبر يلهج في المخزون القديم، ويجتر في

خزين الصبا وحصاد السنين، إننا نسجد الآن وكل حين وعلى الدوام، لثلا نندم كثيراً إننا لم نفعل ذلك.

قم أصرخ إلى إلهك

لقد رأيتها تُسرع في شوارع أورشليم وتلهث، و لم تنظر أبداً إلى الوراء أو من حيث أتت، فلم يمهلها الوقت أن تفعل ذلك أبداً، إنها ساعات مقدسة، نعم سيكون إلي يجدوني، كان كل مشتهاها وسؤل قلبها أن تجده هناك حيث أنه في بيت الفريسي يجلس، نعم حينما سألت قالوا لها ذلك، إنه هناك. فهي خاطئة جداً وهو قريب أيضاً، فلا يتبقى إلا الذهاب إليه، وهكذا فعلت دون تراخي.

لقد قامت مسرعة، ولم تصدق أنها قد تغلبت على كل شيء، معطلات الذهاب ومعوقات اللقاء، حيث إنها معروفة في المدينة إنها خاطئة، و لم تصدق أبداً أنها واقفة من ورائه عند قدميه، فبكت وكسرت نفسها وكسرت طيبيها، لقد انكسرت بالكلية، وانسكبت الدموع تكتب وتسطر عن حياة كانت مائتة، وحينما تقابل

الحياة مع الموت نزع شوكته، وها قد خرجت مسرعة
ذاهبة بسلام، طاهرة تائبة خالية من كل خطية بدم
المسيح، تضحك والدموع في عينيها، وتهمس بكلام غير
واضح وحديث غير مفهوم، وعندما أرففتُ السمع
وجدتها تصرخ: الله الآن يأمر جميع الناس في كل مكان
أن يتوبوا متغاضيًا عن أزمنة الجهل. (أع ١٧ : ٣٠)

أَلْقُوا قُرْعًا...

الناشر: مطرانية نقادة وقوص للأقباط الأرثوذكس – نوفمبر ٢٠٢١م

... فبعدما قدموا كل ما هو روعي في خطة

النجاة الناجحة جدًا، من خوف وصراخ وصلاة، نراهم
بتعقل شديد جدًا يفحصون الأمر بأكثر تدقيق،
ويدرسون الموقف من كل ناحية.

ومن أين جاءت هذه المصيبة؟ لكي يزودوا
أنفسهم بوسائل أمان في المستقبل إذا لزم الأمر، إنهم في
البحر كل حين، ومتى سكنت الأمواج أبدًا؟

ولكن بما أنهم ملاحون مهرة، وأصحاب خبرة
وفطنة بأعمال البحار، وطبيعة الأمواج العاتية، فقد أيقنوا
سريعًا، أن هذه العاصفة الشديدة والنوء، ليس بسبب
سوء أحوال جوية أو اضطرابات مياه.

سنين هذا عددها بثقافة الأمواج، ومعرفة ما في
بطون المياه من أسرار وأخطار، وكأنهم باختصار
يصرخون: نعم إن البحر بريء تمامًا فيما يقوم به، وغير
مسئول أبدًا عما يقدمه، فنحن الآن نجني ثمار خطايانا
ووجهًا لوجه أمام ماضي أثيم، إنه غضب الآلهة القدوسين
سكان السماء على أناس خطاة هم نحن.

... ليتنا نأخذ لأنفسنا درسًا من هؤلاء الأعميين وعبرة، ونمتاز نحن أيضًا بمثل هذه المعرفة، وفلسفة الفحص بالتدقيق التي تؤدي في النهاية للرجوع إلى الصواب سريعًا، والصرخ إلى إلهنا في الحال.

عمومًا لو كانت التجارب التي تصينا هي بسبب خطايانا، نتوب سريعًا كيونان، فنعود مثله ونرى هيكل قدس الرب، وأما إن كانت اختبار من الله وامتحان لنا، فسوف نأخذ بركة أضعافًا كأيوب، وفي جميع الحالات مع التسليم البركة وأيضًا النجاة.

فآه مرات ومرات من هؤلاء القوم الأبرار والأبرياء جدًا، حينما نراهم يتهمون أنفسهم أنهم خطاة، لقد قالوا هلم نلقي قرعًا لنعرف بسبب من هذه البلية، فلقد ألقوا قرعة على أنفسهم ولم يلقوا باللوم على أحد أبدًا.

وها هم قد وضعوا أنفسهم - وهم أبرياء - موضع اتهام، والساعات قلائل والمكان ضيق لا مهرب منه، فلم يتهم أحدهم الآخر قط، بل كل منهم حسب نفسه مدانًا وخاطئًا مستوجب العقوبة، وكل هذه

الاضطرابات من الوارد جدًا أن تكون بسببه هو ولا أحد
سواه!

آه يا رب من الإنسان البريء الذي يدين نفسه،
ويحسب نفسه خاطئًا، أراك لا تدينه أنت أبدًا، ومتى ترك
الرب عصا الخطاة تستقر على نصيب الصديقين؟

لكنني أتعجب كثيرًا من هؤلاء الأميين حينما أرى
من الناحية الأخرى - في المثل - الفريسي رجل الصلاة
يصرخ في الهيكل متضرعًا باسطًا يديه، مصنفًا جميع فئات
المؤمنين إخوته بأنهم خطاة وزناة، فلقد كان عادلاً جدًا
قام بتوزيع خطاياهم بالتساوي، وإسقاط كل ما بداخله
على المؤمنين الأبرياء.

لكنه لم يتبرر أبدًا أمام الله. ليس لأنه وقع فقط
في خطية الإدانة، بل لأنه يجهل تمامًا أنه خاطئ محتاج
إلى توبة!!

أيها الأحباء الملاحون أصحاب القلوب الرحيمة،
لقد وقعت القرعة على يونان، فما الفائدة من الحديث
معه؟ وما الداعي لمعرفة كينونته ومن أين جاء ولماذا؟ بينما

رعب الموت والخطر يحيط بكم من كل ناحية، بل وقد تسرب دون مبالغة إلى داخلكم كله حتى العظام.

لماذا طول الأناة والصبر، بينما الوقت قصير جدًا، والوضع لا يحتمل شيء من هذا كله؟ وهل تحاولوا أنتم أن تنقذوه لتموتوا عوضًا أو معًا أو ماذا؟!

وأيضًا يسألونه من أنت؟ وشعبك؟ وعملك؟ والغريب جدًا أنهم سألوه أيضًا أخبرنا بسبب من هذه المصيبة، بينما كانت القرعة قد وقعت عليه، وصار هذا معلومًا بينهم جميعًا.

لم أكن أبدًا مبالغًا حينما وصفتهم بأنهم أصحاب قلوب رحيمة، وصنفتهم أنهم رحماء جدًا، وها هم يسألونه أيضًا بينما البحر يزداد اضطرابًا أكثر، حتى ذكر لهم بأنه عبراني وخائف الرب، وبدلًا من أن يقتلوه بحجة أنه غريب، خاف الرجال خوفًا عظيمًا، وهذه هي المخافة التي تكلمتُ عنها في بداية الأمر وأول الكلام ورأس السطور.

خوف ... مخافة ... مهابة ... خشوع...
 خضوع ... كلها معاني روحية مقدسة، تصل بأصحابها
 في النهاية إلى محبة الله الكاملة.

وقالوا له لماذا فعلتَ هذا وخالفتَ الله؟

إنها كرازة أخرى وتبشير للمرة الثالثة، وتأنيب
 ضمير للنبي الهارب، وكأنهم يقولون له ارجع إلى إلهك وكن
 مطيعًا لصوت الرب ^(١٥) غد سريعًا لأن الوقت ليس في
 صالحك أبدًا، وأنتَ بعيد عن وجه الرب أنتَ في خطر
 دائم، أنتَ ميت!! ومن يريد أن يهرب من الله يهرب إلى
 الله (١٦).

(١٥) اسمعوا هذه النصيحة يا ساكني سدوم، وبيت فوطيفار وقرى الخنازير،
 أظن أن هذا النداء ليس أبدًا ليونان وحده.

(١٦) كان يسكن جوارنا طفل مشاكس، لكن حينما كان يقع في أي
 خطأ يستلزم العقوبة كان والده يناديه، فإن أطاع ورجع سريعًا يخفف عنه
 العقوبة أو يسامحه، لكن لو أسرع بالفرار من أمامه يضاعف له العقوبة،
 وهذا كان اتفاق مبرم بينهما (ربما في هذا القياس توضيحًا)

الناشر: مطرانية نقادة وقوص للأقباط الأرثوذكس – نوفمبر ٢٠٢١م

ليتنا نحن أيضاً مثلك لنا إله قوي مهوب، فنخافه ونطيعه ونحبه ونثق فيه، يأتي دائماً في إثرنا ويبحث عنا في قاع المياه ووسط البحار حتى يرجعنا.

إن كثرة الأسئلة التي تدور حولكم ليس أبداً لإدانتكم، بل لتبريركم بالأكثر، وإظهاركم الفضائل الكامنة فيكم، كدروس وعبر للآخرين ولنا.

فلماذا تفعلون به (يونان) هكذا، ألم يعرض حياتكم للخطر؟

ألم تطرحوا كل مالكم وأمتعتكم في البحر، وستكبدون وحدكم ثمن تلك الخسارة؟

ألم حاولوا أن ترجعوا السفينة كي تنقذوه، وها قد فضلتم العودة والرجوع على السير والعمل وما أنتم إليه ذاهبون؟

وماذا بعد أيها الملاحون الأتقياء؟ إنه خاطئ، إنه غريب العقيدة، والإله والوطن، آه لو علمتم إنه فضل الهرب والموت على الكرازة والتبشير لأناس ينتظرون الله وهم في غاية الاحتياج، إنه يحمل لكم موتاً وخسارة

وخوفًا ورعدة، إنه مدان وقد أكدت القرعة كل ذلك في مرة.

لم نره أبدًا يا سيدي من خلال هذا المنظور وتلك الرؤية، إنه يستحق الاهتمام الآن والرأفة أكثر من أي وقت آخر، وإن لم تكن الرحمة للخاطئ واجبة فلن تكون إذًا، لأن الرحمة قد أودعها الله في القلوب لأجل الغريب والمحتاج والخاطئ^(١٧)، أما القريب فليس في حاجة إلى وصية.

أحبوا أعدائكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيك وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم، فكيف بعد كل ذلك نخالف إله السماء ونبغض قريبنا؟ نعم إنهم لم يقولوا شيئًا من هذا كله، لكنني أرى أنهم قد قدموه عملياً دون أي نقصان، إنه الناموس

(١٧) ” لا تفيدنا الصلاة من أجل الأصدقاء بقدر ما تنفعنا لأجل الأعداء، فإن صلينا من أجل الأصدقاء لا نكون أفضل من العشارين، أما إذا أحببنا أعدائنا وصلينا من أجلهم فنكون قد شابهنا الله في محبته للبشر. “ من أقوال القديس يوحنا ذهبي الفم.

الطبيعي وشريعة القلوب اللحمية غير المكتوبة على ألواح
من حجارة. (١٨)

آه يا رب لا تهلك من أجل نفس هذا الرجل،
اعتذار مسبق واستئذان مبكر وصلاة لإله يونان.

لا تجعل علينا دم بريء، عندما وصلتُ إلى هذه
العبارة، التي قيلت من أناس أميين، عن إنسان غريب
وعاصي، ذهبْتُ سريعًا إلى أورشليم وجبال الجلجثة،
وسمعتُ رؤساء الكهنة والكتبة والشعب أيضًا، يصرخون
أصلبه أصلبه دمه علينا... وكان يسوع مربوطًا، وهم
ملتفون حوله يضربونه ويلطمونه ويتفلون عليه، فعدتُ
حزينًا وصمتُ ولم أتكلم قط.

لكن مرة أخرى نعود من أورشليم إلى الملاحين
الأتقياء؛ لنسأل هل يونان إلى الآن هو إنسان بريء في
نظركم وغير مستوجب الحكم؟ لأنك يا رب فعلتَ كما

(١٨) لأنه الأمم الذين ليس عندهم الناموس متى فعلوا بالطبيعة ما هو في
الناموس فهؤلاء إذ ليس لهم الناموس هم ناموس لأنفسهم (رو ٢: ١٤)
الناشر: مطرانية نقادة وقوص للأقباط الأرثوذكس – نوفمبر ٢٠٢١م

شئت، وكأنهم يقولون لله: لقد حصرتنا في إرادتك وفعل مشيئتك، وما كان علينا سوى الطاعة والخضوع.

فأخذوا يونان وطرحوه في البحر، فوقف البحر عن هيجانه، فخاف الرجال من الرب وذبحوا ذبيحة للرب، ونذروا نذورًا. وها قد طبقوا عمليًا الآية التي تقول ” ادعني وقت الضيق “ (صرخوا) ” أنقذك فتمجدني “ (شكروا وقدموا ذبائح) ...

وأخيرًا لعلك تتفق معي أيها القارئ الحبيب، بأنهم كانوا يصرخون ويطلبون إلى إلهنا، الإله الحقيقي دون أن يعلموا ودون أن يعرفوه، إنه الإله المجهول الذي كلم بولس الرسول أهل أثينا عنه، والذي قدم له كرنيليوس القرايين فقبلها. وها الآن قد اتضحت لهم - أي للبحارة - صورته تمامًا، إنه يريد أن الجميع يخلصون وإلى معرفة الحق يُقبلون.

صدر من هذه السلسلة

- (١) لن تموتا، هكذا قالت الحية
- (٢) ردي كالقديم وجدد أيامي
- (٣) من يطفئ لهيب النار عني؟
- (٤) وأيضا، أهى صراخ
- (٥) مالك نائما قم أصرخ إلى إلهك
- (٦) ساكنة القبر المجاور
- (٧) أذللْتُ بالصوم نفسي
- (٨) اسمي مارين يا سيدي
- (٩) قد اقترب منكم ملكوت الله

واه لو قدر لنا أن نسأل
العظام فى القبور، لصرخت
قوموا يا بنى النور
كى تسبحوا
رب القوات،
واه من الندم
إننا لم نفعل ذلك أبداً،
لأن العمر
الذى يحسب للإنسان
هو ما قد صرفه فى التسبيح
فقط وبناء المذبح!